

١



عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ ❖ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ

سَعْدُ بنُ عُبَيْدٍ





سلسلة نجوم الصحابة (٥)

القُــــرَّاء

(١)

إعداد

منصور علي عرابي

الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم التسلسل
(٦٢)





دمشق : حلبوني - ص ب: ٢٥٢٣٧ - فاكس: ٢٤٥٤٠١٣
هاتف: ٢٤٥٣٦٣٨ (٩٦٣١١ +) - جوال: ٠٩٤٤ ٤٥٣٦٣٨
البريد الالكتروني: algawthani@scs-net.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اشْتَهَرَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِمْ- بِالقُرَّاءِ، وَهُمُ الَّذِينَ أَفْنَوا حَيَاتَهُمْ لِلْقُرْآنِ؛ فَكَانَ القُرْآنُ مَعَهُمْ أَينَمَا حَلُّوا وَارْتَحَلُوا، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُم بَعْضُ السِّمَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالقُرْآنِ، كَالاهْتِمَامِ بِجَمْعِهِ، وَحِفْظِهِ، وَتَرْتِيلِهِ، فَكَانَ القُرْآنُ يَخْرُجُ مِنْهُمْ نَدِيًّا طَرِيًّا كَمَا أُنْزِلَ، وَمِنْهُمْ مَنِ اشْتَهَرَ بِحَلاوَةِ الصَّوتِ فِي القِرَاءَةِ وَالتَّرْتِيلِ.

وَقَدْ عَمِلَ هَؤُلَاءِ عَلَى تَعْلِيمِ القُرْآنِ لِغَيرِهِم، حَتَّى وَصَلَ إِلَينَا كَمَا جَاءَ بِهِ الوَحْيُ الكَرِيمُ، وَسَيَظَلُّ إِلَى أَنْ يَقُومَ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، وَهَذَا مِنْ حِفْظِ اللهِ تَعَالَى لِلْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وهَذِهِ نَمَاذِجُ مِنْ قُرَّاءِ الصَّحَابَةِ.

عَبْدُ اللّهِ بن مَسْعُود

الغُلامُ المُعَلَّمُ:

كَانَ مَوْلًى لِعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيْطٍ، يَرْعَى غَنَمَهُ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَيهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ذَاتَ يَومٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا غُلَام هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟».

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «فَهَلْ مِنْ شَاةٍ حَائِلٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيهَا الفَحْلُ؟». فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَعْطَاهُ شَاةً لَيسَ فِي ضَرْعِهَا لَبَنٌ. فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَرْعَهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، وَهُوَ يُتَمْتِمُ بِبَعْضِ الكَلِمَاتِ، فَنَزَلَ اللَّبَنُ بِإِذْنِ اللهِ، فَحَلَبَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِيَدِهِ فِي إِنَاءٍ، وَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلضَّرْعِ: «اُقْلُصْ». فَجَفَّ مِنْهُ اللَّبَنُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ فِي دَهْشَةٍ وَتَعَجُّبٍ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا القَولِ الَّذِي قُلْتَهُ. فَنَظَرَ إِلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي رِفْقٍ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِه وَصَدْرِهِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ». ثُم تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ [أحمد].

إِسْلامُ ابنِ مَسْعُود:

سَرَتْ أَنْوَارُ الهِدَايَةِ فِي عُرُوقِ ابنِ مَسْعُودٍ، فَعَادَ إِلَى سَيِّدِهِ بِالغَنَمِ، ثُمَّ أَسْرَعَ إِلَى مَكَّةَ يَبْحَثُ عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَصَاحِبِهِ حَتَّى وَجَدَهُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَأَعْلَنَ ابنُ مَسْعُودٍ إِسْلَامَهُ بَينَ يَدَيهِ، وَكَانَ بِذَلِكَ سَادِسَ سِتَّةٍ يَدْخُلُونَ فِي الإِسْلَامِ.

الجَاهِرُ بِالقُرْآنِ:

وَذَاتَ يَومٍ، اجْتَمَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا سَمِعَتْ قُرَيشٌ هَذَا القُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوهُ؟ فَقَامَ عَبْدُ اللهِ، وَقَالَ: أَنَا. فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ القَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ. قَالَ: دَعُونِي، فَإِنَّ اللهَ سَيَمْنَعُنِي. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الكَعْبَةِ، وَكَانَ فِي وَقْتِ الضُّحَى، فَجَلَسَ وَرَفَعَ صَوتَهُ بِالقُرْآنِ، وَقَرَأَ مُسْتَرْسِلًا: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرَّحمن: ١-٢].

فَنَظَرَ إِلَيهِ أَهْلُ مَكَّةَ فِي تَعَجُّبٍ وَدَهْشَةٍ، فَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِي نَادِيهِم؟ وَأَمَامَ أَعْيُنِهِم؟! فَقَالُوا: مَاذَا يَقُولُ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ؟!

ثُمَّ أَنْصَتُوا جَيِّدًا إِلَى قَولِهِ، وَقَالُوا فِي غَضَبٍ: إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ. ثُمَّ قَامُوا إِلَيهِ، وَضَرَبُوهُ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَهُوَ يَسْتَمِرُّ فِي قِرَاءَتِهِ حَتَّى أَجْهَدَهُ الضَّرْبُ، وَبَلَغَ مِنْهُ الأَذَى مَبْلَغًا عَظِيمًا، فَكَفَّ عَنِ القِرَاءَةِ، فَتَرَكَهُ أَهْلُ مَكَّةَ وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِي مَوْتِهِ، فَقَامَ إِلَيهِ أَصْحَابُهُ، وَقَدْ أَثَّرَ الضَّرْبُ فِي وَجْهِهِ وَجَسَدِهِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيكَ. فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمُ الآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لَأُغَادِيَنَّهُمْ بِمِثْلِهَا غَدًا (أَي أَفْعَلُ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى). فَقَالُوا: لَا.. لَقَدْ أَسْمَعْتَهُم مَا يَكْرَهُونَ.

القَـارِئُ المُـجَـاهِدُ:

هَاجَرَ ابْنُ مَسْعُودٍ الهِجْرَتَيْنِ، وَآخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بينَهُ وَبَينَ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ رضي الله عنه فِي المَدِينَةِ.

وَكَانَ ابنُ مَسْعُودٍ مِنْ أَحْرَصِ المُسْلِمِينَ عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، شَارَكَ فِي جَمِيعِ غَزَوَاتِ المُسْلِمِينَ، وَيَومَ بَدْرٍ ذَهَبَ عَبْدُ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُبَشِّرًا لَهُ، وَقَالَ: يَارَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَتَلْتُ أَبَا جَهْلٍ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، وَوَهَبَهُ سَيفَ أَبِي جَهْلٍ مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى ذَلِكَ.

أَقْـرَأُ الصَّحَـابَةِ:

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَعْلَمَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَمِنْ أَنْدَاهُمْ صَوْتًا بِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَولَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيٍّ بنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ» [البخاري].

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ» [البزّار].

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ سَمَاعَ القُرْآنِ مِنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ لَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ: «اِقْرَأْ عَلَيَّ». فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: أَقْرَأُ عَلَيكَ وَعَلَيكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ ﷺ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي». فَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ فَكَيْفَ

إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النِّسَاء: ٤١]، فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ» [البُخَارِي].

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُود: أَخَذْتُ مِنْ فَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً. وَقَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ الصَّحَابَةِ بِكِتَابِ اللهِ، وَمَا أَنَا بِخَيرِهِمْ، وَمَا فِي كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ وَلَا آيَةٌ إِلَا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ نَزَلَتْ، وَمَتَى نَزَلَتْ. وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ القُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ عَرَضَهُ عَلَيهِ مَرَّتَيْنِ، وَحَضَرَ ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، فَعَلِمَ مَا نُسِخَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا بُدِّلَ.

وَقَالَ حُذَيفَةُ: لَقَدْ عَلِمَ الْمُحَفَّظُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بن مَسْعُودٍ كَانَ مِنْ أَقْرَبِهِمْ وَسِيلَةً إِلَى اللهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَأَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللهِ.

مُلازِمُ الرَّسُولِ ﷺ:

كَانَ عَبْدُ اللهِ شَدِيدَ الحُبِّ للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَظَلَّ مُلَازِمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَسِيرُ مَعَهُ حَيثُ سَارَ، يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، يُلْبِسُهُ نَعْلَهُ، وَيُوقِظُهُ إِذَا نَامَ، وَيَسْتُرُهُ إِذَا اغْتَسَلَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ وَيُقَرِّبُهُ مِنْهُ، وَيُدْنِيهِ وَيَقُولُ لَهُ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ تَرْفَعَ الحِجَابَ، وَأَنْ تَسْتَمِعَ سَوَادِي (أَسْرَارِي) حَتَّى أَنْهَاكَ» [مُسْلِم]. فَسُمِّيَ مُنْذُ ذَلِكَ اليَوم بِصَاحِبِ السَّوَادِ وَالسِّوَاكِ، وَقَدْ بَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالجَنَّةِ، وَقَالَ: لَو كُنْتُ مُؤَمِّرًا

أَحَدًا (أَي مُسْتَخلِفًا أَحَدًا) مِنْ غَيرِ مَشُورَةٍ مِنْهُم (أَي المُسْلِمِينَ) لَأَمَّرْتُ عَلَيهِمُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ» [التِّرمِذِي]. وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «رَضِيتُ لِأُمَّتِي مَا رَضِيَ لَهَا ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ» [الحَاكِم].

سَاقُ ابن مَسْعُود:

يُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ أَنْ يَصْعَدَ شَجَرَةً فَيَأْتِيَهُ بِشَيءٍ مِنْهَا، فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُهُ سَاقَيْهِ ضَحِكُوا، فَقَالَ ﷺ: «مَا تَضْحَكُونَ؟ لَرِجْلُ عَبدِ اللهِ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ يَومَ القِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ» [أَحْمَد وابنُ سَعْدٍ].

أُسْتَاذُ أَهْلِ الكُوفَةِ:

وَفِي خِلَافَةِ الفَارُوقِ رضي الله عنه أَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى أَهْلِ الكُوفَةِ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ وَعَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما، وَقَالَ: عَمَّارٌ أَمِيرٌ، وابنُ مَسْعُودٍ مُعَلِّمٌ وَوَزِيرٌ، ثُمَّ قَالَ لِأَهْلِ الكُوفَةِ: لَقَدْ آثَرْتُكُم بِعَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ عَلَى نَفْسِي.

شَكْوَى مَرْدُودَةٌ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ، فَقَالَ لَهُ: يَاأَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، جِئْتُكَ مِنَ الكُوفَةِ، وَتَرَكْتُ بِهَا رَجُلًا يَحْكِي المُصْحَفَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ. فَقَالَ عُمَرُ: وَيْحَكَ، وَمَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودَ. فَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ، مَا أَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا هُوَ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ.

عَلَى فِرَاشِ الموتِ:

عِنْدَمَا مَرِضَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَرَضَ المَوْتِ، دَخَلَ عَلَيهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ ﷛ يَزُورُهُ، وَقَالَ لَهُ: أَنَأْمُرُ لَكَ بِطَبِيبٍ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: الطَّبِيبُ أَمْرَضَنِي. فَقَالَ عُثْمَانُ: نَأْمُرُ لِبَنَاتِكَ بِمَالٍ؟ وَكَانَ عِنْدَهُ تِسْعُ بَنَاتٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَا، إِنِّي عَلَّمْتُهُنَّ سُورَةً، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ لَا تُصِيبُهُ الفَاقَةُ أَبَدًا» [ابنُ عَسَاكِرَ]. وَيَلْقَى ابنُ مَسْعُودٍ رَبَّهُ سَنَةَ (٣٢هـ)، وَعُمُرُهُ قَدْ تَجَاوَزَ (٦٠) عَامًا، وَيُدْفَنُ بِالبَقِيعِ.

أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ

أَحَدُ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ وَقُرَّائِهِمْ، وَقَدْ شَهِدَ بَيعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَبَايَعَ النَّبِيَّ ﷺ فِيهَا، وَكَانَ مِنَ الأَنْصَارِ الَّذِينَ نَصَرُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَاسْتَقْبَلُوهُ فِي يَثْرِبَ. وَقَدْ شَهِدَ كُلَّ الغَزَوَاتِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

صَاحِبُ العِلْمِ:

سَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوم: «يَا أَبَا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» فَأَجَابَ قَائِلًا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَأَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ سُؤَالَهُ: «يَا أَبَا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» فَأَجَابَ أُبَيٌّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، فَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ صَدْرَهُ بِيَدِهِ، وَدَعَا لَهُ بِخَيرٍ، وَقَالَ: «لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ (أَي هَنِيئًا لَكَ العِلْمُ)» [مُسْلِم].

كَاتِبُ الوَحْيِ:

كَانَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ ﷺ مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ كَانُوا يَكْتُبُونَ الوَحْيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَكْتُبُونَ الرَّسَائِلَ. وَقَدْ قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَأُ أُمَّتِي أُبَيٌّ» [التِّرمِذِي].

القَارِئُ الحَافِظُ:

وَكَانَ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى حِفْظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البيّنة:١]، فَقَالَ أُبَيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، آللهُ سَمَّانِي لَكَ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «نَعَمْ». فَجَعَلَ أُبَيٌّ ﷺ يَبْكِي مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ [مُسْلِم].

صَاحِبُ الفُتْيَا:

وَكَانَ ﷺ وَاحِدًا مِنَ السِّتَّةِ أَصْحَابِ الفُتْيَا الَّذِينَ أَذِنَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْحُكْمِ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، وَفَضِّ المُنَازَعَاتِ الَّتِي تَحْدُثُ بَينَهُم، وَرَدِّ المَظَالِمِ إِلَى أَهْلِهَا، وَهُمْ: عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وَعَلِيُّ ابنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ، وَأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَزَيدُ بنُ حَارِثَةَ، وَأَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ.

شَهَادَةُ الرَّسُولِ ﷺ:

وَقَالَ ﷺ فِيهِ وَفِي غَيرِهِ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ

ابنُ كَعْبٍ، وَأَفْرَضهُمْ (أَعْلَمُهُمْ بِالمَوَارِيثِ) زَيدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُم بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ» [التِّرْمِذِيُّ وابْنُ مَاجَه].

تَارِكُ الدُّنْيَا:

وَكَانَ ﷺ لَا يَخَافُ فِي اللهِ لَومَةَ لَائِمٍ، وَكَانَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَطْلُبُونَ مِنَ الدُّنْيَا عَرَضًا، فَلَيسَ لَهَا نَصِيبٌ فِي قُلُوبِهِمْ، فَعِنْدَمَا اتَّسَعَتْ بِلَادُ المُسْلِمِينَ وَرَأَى النَّاسَ يُجَامِلُونَ وُلَاتَهُم فِي غيرِ حَقٍّ قَالَ: هَلَكُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ، هَلَكُوا وَأَهْلَكُوا، أَمَا إِنِّي لَا آسَى (أَحْزَنُ) عَلَيهِمْ، وَلَكِنْ آسَى عَلَى مَنْ يُهْلِكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ.

التَّقِيُّ الوَرِعُ:

وَكَانَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ وَرِعًا تَقِيًّا يَبْكِي إِذَا ذَكَرَ اللهَ، وَيَهْتَزُّ كِيَانُهُ حِينَ يُرَتِّلُ آيَاتِ القُرْآنِ أَوْ يَسْمَعُهَا، وَكَانَ إِذَا تَلَا أَوْ سَمِعَ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، يَغْشَاهُ الهَمُّ وَالأَسَى.

سُؤَالُ البَلَايَا:

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الأَمْرَاضَ الَّتِي تُصِيبُنَا وَمَا نُلَاقِيهَا؟ قَالَ ﷺ: «كَفَّارَاتٌ». فَقَالَ

أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ قَلَّتْ؟ قَالَ: «وَإِنْ شَوْكَةً فَمَا فَوقَهَا». فَدَعَا أُبَيٌّ أَلَّا يُفَارِقَهُ الوَعْكُ حَتَّى يَمُوتَ، وَأَلَّا يَشْغَلَهُ عَنْ حَجٍّ وَلَا عُمْرَةٍ، وَلَا جِهَادٍ، وَلَا صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي جَمَاعَةٍ.

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ ﷺ: فَمَا مَسَّ إِنْسَانٌ جَسَدَهُ إِلَّا وَجَدَ حَرَّهُ حَتَّى مَاتَ [أَحْمَدُ وابنُ حبَّان].

مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ:

وَكَانَ أُبَيٌّ ﷺ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَيَحْكِي ابنُ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ لِجَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: اخْرُجُوا بِنَا إِلَى أَرْضِ قَوْمِنَا. فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعَ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ فِي مُؤَخِّرَةِ النَّاسِ، فَهَاجَتْ سَحَابَةٌ، فَدَعَا أُبَيٌّ قَائِلًا: اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا. فَلَحِقَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأُبَيٌّ النَّاسَ، فَوَجَدُوا أَنَّ رِحَالَهُمْ ابْتَلَّتْ: فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَصَابَكُمْ؟ (أَي: كَيفَ لَمْ تُبَلَّ رِحَالُكُمَا؟) فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ أُبَيًّا قَالَ: اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا. فَقَالَ عُمَرُ: فَهَلَّا دَعَوتُمْ لَنَا مَعَكُمْ.

القَاضِي أُبَيّ:

وَكَانَ عُمَرُ يُجِلُّ أُبَيًّا، وَيَسْتَفْتِيهِ فِي القَضَايَا، وَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ فَيُصَلِّي بِهِمْ فِي المَسْجِدِ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ فِي رَمَضَانَ، وَقَبْلَهَا كَانَ يُصَلِّي كُلُّ إِنْسَانٍ وَحْدَهُ.

أُبَيٌّ وَالسُّنَّة:

رَوَى أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ ﷺ بَعْضَ الأَحَادِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَوَى عَنْهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

مُرَاقَبَةُ اللهِ:

مِنْ أَقْوَالِهِ ﷺ: مَا تَرَكَ أَحَدٌ مِنْكُمْ للهِ شَيئًا إِلَّا آتَاهُ اللهُ مَا هُوَ خَيرٌ لَهُ مِنْهُ مِنْ حَيثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَلَا تَهَاوَنَ بِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ حَيثُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا آتَاهُ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيهِ مِنْ حَيثُ لَا يَحْتَسِبُ.

إِمَامَةُ القُرْآنِ:

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ ذَاتَ يَومٍ: أَوصِنِي، فَقَالَ لَهُ أُبَيٌّ: اتَّخِذْ كِتَابَ اللهِ إِمَامًا، وَارْضَ بِهِ قَاضِيًا وَحَكَمًا، فَإِنَّهُ الَّذِي اسْتَخْلَفَ فِيكُمْ رَسُولُكُم، شَفِيعٌ مُطَاعٌ، وَشَاهِدٌ لَا يُتَّهَمُ، فِيهِ ذِكْرُكُمْ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَينَكُم، وَخَبَرُكُم وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ [أَبُو نُعَيمٍ].

وَفَاةُ سَيِّدِ المُسْلِمِينَ:

وَتُوُفِّيَ ﷺ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بن الخَطَّاب ﷺ، وَيَومَ مَوْتِهِ رَأَى رَجُلٌ النَّاسَ فِي المَدِينَةِ يَمُوجُونَ فِي سِكَكِهِمْ، فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُم: مَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ البَلَدِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ اليَومَ سَيِّدُ المُسْلِمِينَ، أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ.

سَعْدُ بنُ عُبَيدٍ القارئ

دَاعِيَةٌ مِنَ البِدَايَةِ:

إِنَّهُ أَبُو عُمَيرٍ سَعْدُ بنُ عُبَيدِ بنِ النُّعْمَانِ الأَنْصَارِيُّ الأَوْسِيُّ ﷺ، أَسْلَمَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَعَمِلَ عَلَى نَشْرِ الإِسْلَامِ بِالمَدِينَةِ، فَأَسْلَمَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ.

إِمَامُ مَسْجِدِ قُبَاءٍ:

وَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَأَى مَا صَنَعَهُ سَعْدٌ، جَعَلَهُ إِمَامًا لِمَسْجِدِ قُبَاءٍ الَّذِي بَنَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَقَّبَهُ بِالقَارِئِ، وَلَمْ يُلَقَّب بِهَذَا اللَّقَبِ غَيْرُه، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَقَرَّهُ عَلَى إِمَامَةِ المَسْجِدِ، وَكَذَلِكَ فعَلَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ.

خِدْمَةُ القُرْآنِ:

وَكَانَ سَعْدٌ أَحَدَ الأَنْصَارِ الأَرْبَعَةِ الَّذِينَ جَمَعُوا القُرْآنَ الكَرِيمَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ ﷺ.

الإِمَامُ المُجَاهِدُ:

وَلَمْ يَنْصَرِفْ سَعْدٌ إِلَى العِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ فَقَطْ، بَلْ وَهَبَ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَاشْتَرَكَ فِي الجِهَادِ ضِدَّ المُشْرِكِينَ فِي بَدْرٍ وَأُحُدٍ، وَفِي كُلِّ المَشَاهِدِ مَعْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

صَاحِبُ السَّيفِ وَالقَلَمِ:

خَرَجَ سَعْدٌ ﷺ مَعَ جَيشِ أُسَامَةَ لِقِتَالِ الرُّومِ. كَمَا أَذِنَ لَهُ الصِّدِّيقُ ﷺ بِالخُرُوجِ إِلَى العِرَاقِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَحَمَّلَهُ أَمَانَةَ تَعْلِيمِ المُسْلِمِينَ وَالقَضَاءِ فِيمَا بَينَهُمْ، فَخَرَجَ سَعْدٌ القَارِئُ ﷺ خَلْفَ قَائِدِهِ أَبِي عُبَيدِ بنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ ﷺ يُبَارِزُ بِالسَّيفِ، وَيُعَلِّمُ بِالقَلَمِ.

تَحْتَ إِمْرَةِ سَعْدٍ:

خَرَجَ فِي جَيشِ المُسْلِمِينَ تَحْتَ إِمْرَةِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي عَهْدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ إِلَى بِلَادِ كِسْرَى فِي العِرَاقِ؛ لِيُوَاصِلَ جِهَادَهُ هُنَاكَ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا.

عِنْدَ مَلِكِ الحِيْرَةِ:

وَيَبْدَأُ الجَيشُ المُسْلِمُ سِلْسِلَةً مِنَ اللِّقَاءَاتِ الحَاسِمَةِ مَعَ أَعْدَاءِ اللهِ، بَدَأَهَا بِلِقَاءٍ مَعَ مَلِكِ الحِيْرَةِ وَحَلِيفِ كِسْرَى، المَلِكِ العَرَبِيِّ النَّصْرَانِيِّ المُنْذِرِ بنِ النُّعْمَانِ بنِ المُنْذِرِ.

اضْطِرَابُ العَدُوِّ:

وَاصْطَفَّ الجَيشَانِ، وَبَدَأَ مَلِكُ الحِيرَةِ يَخْطُبُ فِي جَيشِهِ؛ لِيُشَجِّعَهُمْ عَلَى القِتَالِ، وَيُشْعِلَ الحَمَاسَةَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَبَينَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ صَاحَ الحَاجِبُ: رَسُولٌ مِنْ قَائِدِ الأَعْدَاءِ يَطْلُبُ مُقَابَلَتَكَ أَيُّهَا المَلِكُ.

وَسْطَ صُفُوفِ الأَعْدَاءِ:

وَحَدَثَ بَينَ صُفُوفِ الجَيشِ هَرْجٌ وَمَرْجٌ، فَقَالَ مَلِكُ الحِيْرَةِ غَاضِبًا: ائْتِنِي بِهِ. فَدَخَلَ القَارِئُ مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، ثَابِتَ الخُطَا يَدُكُّ الأَرْضَ بِرِجْلِهِ وَسَيفِهِ، وَهُوَ يَخْتَرِقُ تِلْكَ الجُمُوعَ الحَاشِدَةَ الَّتِي تَأَهَّبَتْ لِقِتَالِ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ وَقَفَ أَمَامَ المَلِكِ، فَقَالَ قَائِدُ الحَرَسِ لِسَعْدٍ القَارِئِ: قَبِّلِ الأَرْضَ تَحِيَّةً لِلْمَلِكِ.

فَنَظَرَ القَارِئُ بِاسْتِخْفَافٍ وَاسْتِنْكَارٍ قَائِلًا: اللهُ أَمَرَنَا أَلَّا يَسْجُدَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ، وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذِهِ كَانَتِ العَادَةَ المَعْرُوفَةَ فِي الجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَلَمَّا بُعِثَ جَعَلَ تَحِيَّتَهُ السَّلَامَ، أَمَّا تَحِيَّتُكُم هَذِهِ فَهِيَ تَحِيَّةُ جَبَابِرَةِ المُلُوكِ.

اضْطَرَبَ مَلِكُ الحِيرَةِ مِنْ جُرْأَتِهِ، فَأَسْرَعَ صَائِحًا: وَيْحَ قَومِكَ! مَا الَّذِي جِئْتَ لِأَجْلِهِ؟

فَعَرَضَ عَلَيهِمْ سَعْدٌ الإِسْلَامَ وَخَيَّرَهُمْ بَينَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ، فَقَالَ: إِمَّا الإِسْلَامُ، أَوِ الجِزْيَةُ، أَوْ هِيَ الحَرْبُ.

نِهَايَةُ الحِوَارِ:

فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: لَقَدْ حَدَّثَتْكُمْ أَنْفُسُكُمْ بِالأَبَاطِيلِ، أَظَنَنْتُمْ أَنَّ الفُرْسَ مِثْلُ الرُّومِ؟ كَلَّا، إِنَّهُم أَثْبَتُ وَأَشَدُّ، وَهَذَا المَلِكُ أَزْدَشِيرُ مَلِكُ الفُرْسِ قَدْ جَمَعَ لَكُمْ جُيُوشَهُ وَعَسَاكِرَهُ، وَسَيَنَالُونَ مِنْكُمْ.

فَرَدَّ سَعْدٌ القَارِئُ فِي حَزْمٍ وَقُوَّةٍ: أَيُّهَا المَلِكُ لَقَدْ تَشَرَّفْتَ بِالبَاطِلِ،

وَتفوَّهْتَ بِكَلَامٍ غَيْرِ عَاقِلٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَنَّ اللهَ بِكَرَمِهِ يَرْفَعُ عَنَّا البَأسَ، وَيُظْفِرُنَا بِجَمِيعِ النَّاسِ، وَإِنَّ نَبِيَّنَا ﷺ قَالَ: «سَتُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي كُنُوزُ كِسْرَى وَقَيصَرَ» فَأَمَّا كُنُوزُ قَيصَرَ فَقَدْ فَتَحَهَا اللهُ عَلَينَا، وَبَقِيَتْ كُنُوزُ صَاحِبِكَ.

فَزَادَ غَضَبُ مَلِكِ الحِيرَةِ، وَقَالَ: مَا عِنْدَنَا جَوَابٌ إِلَّا السَّيفُ. وَرَجَعَ القَارِئُ إِلَى المُعَسْكَرِ، وَأَخْبَرَ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ بِالأَمْرِ، وَمَا هِيَ إِلَّا فَتْرَةٌ وَجِيزَةٌ حَتَّى زَحَفَتْ قُوَّاتُ الحَقِّ عَلَى أَهْلِ البَاطِلِ، فَتَطَايَرَتِ الرُّؤُوسُ، وَعَلَتِ الصَيْحَاتُ، وَكَتَبَ اللهُ النَّصْرَ لِلْمُسْلِمِينَ.

القَارِئُ فِي القَادِسِيَّةِ:

وَتَقَدَّمَ المُسْلِمُونَ نَحْوَ القَادِسِيَّةِ، وَهُنَاكَ كَانَتْ جُيُوشُ الفُرْسِ فِي أَوْجِ أُهْبَتِهَا وَاسْتِعْدَادِهَا؛ فَقَدْ جَمَعَتْ عُدَّتَهَا وَعَتَادَهَا فِي انْتِظَارِ المُسْلِمِينَ.

رَائِحَةُ الشَّهَادَةِ:

وَظَلَّتِ الحَرْبُ دَائِرَةً يَوْمَيْنِ، وَفِي مَسَاءِ اليَوْمِ الثَّالِثِ، أَخَذَ القَارِئُ يُحَدِّثُ النَّاسَ وَيُحَمِّسُهُمْ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ وَالإِخْلَاصِ، وَيُرَغِّبُهُم فِي الشَّهَادَةِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلشَّهِيدِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّا مُسْتَشْهِدُونَ غَدًا، فَلَا تُكَفِّنُونَا إِلَّا فِي ثِيَابِنَا الَّتِي أُصِبْنَا فِيهَا.

وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ النَّصْرَ، وَأَنْعَمَ اللهُ عَلَى القَارِئِ بِمَا كَانَ يَتَمَنَّاهُ، فَاسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

سلسلة نجوم الصحابة

١ - الخُلَفَاءُ الرَاشِدون
٢ - أَهــلُ الجنــةِ
٣ - القُــــرَّاءُ
٤ - الأُمَــــرَاءُ
٥ - العُــلَمَــاءُ
٦ - الأَوائِــــلُ
٧- الشُّــــهَدَاءُ

٨١٠٠٥٩